خلاصة البحث في حجج الشيعة الإمامية من السنة النبوية الشريفة

عرضنا في الفصول السابقة العديد من الأحاديث التي استدل بها علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية لإثبات صحة مذهبهم، وأحاديث أخرى ذات صلة بالموضوع. وتبين بعد البحث أن السنة النبوية الشريفة، مثلها مثل القرآن الكريم، لا يوجد فيها ما يدعم ويثبت أطروحات الشيعة الإمامية الإثني عشرية، بل يوجد فيها ما يخالفها وينقضها.

وهذه خلاصات أساسية لنتائج البحث في السنة النبوية.

١ ـ عرضنا أشهر الروايات التي يحتج بها الشيعة لمذهبهم من السنة النبوية، فهل وجدنا في كل الأحاديث التي عرضت في الفصول السابقة دليلا قطعي الورود قطعي الدلالة ينص فيه الرسول ﷺ بأن الحكم والإمامة من بعده لسيدنا علي، ثم للحسن والحسين، رضي الله عنهم، ثم لتسعة من ذرية الحسين، آخرهم ولد واختفى عن الأنظار في القرن الثالث الهجري، وما زال حيا يرزق بعد أكثر من ألف عام؟

الجواب واضح جدا. لا يوجد مثل هذا الحديث، بل يوجد ما يعارضه تماما.

٢ـ بينت في الفصول السابقة أن من أشهر الأحاديث النبوية الصحيحة التي تبطل نظرية الشيعة الإمامية الإثني عشرية، الأحاديث الواردة في الصحيحين عن الإمارة والخلافة، ومنها مثلا هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة إذ قال: "قال رسول الله ﷺ: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء تكثر. قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا (أمر بالوفاء) ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم".

واضح أن هذا الحديث عن كثرة الخلفاء والأحاديث المشابهة التي توجه بطاعة الخلفاء لا تنسجم مع ما يعتقد به الشيعة الإثني عشرية في أمر الحكم والإمامة.

إذا كان النبي ﷺ أوضح أن الحكم في الدولة الإسلامية ينتقل بعد وفاته إلى سيدنا علي، فالحسن، فالحسين، رضي الله عنهم، ثم في تسعة من ذرية الحسين، أحدهم حي يرزق ومختف عن أنظار الناس منذ أكثر من ألف عام، إذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام قد أوضح هذا الأمر للناس، وبين لهم أن هؤلاء الأئمة معصومون لا يخطئون، فلم يدعو الناس لطاعة الحاكم ما لم يؤمروا بمعصية؟ وهل يصدر الأمر بالمعصية عن الحاكم المعصوم؟

٣ـ نقلت الرواية التي أخرجها البخاري في صحيحه عن عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما، ونصها: "إن علي بن أبي طالب ﷺ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا. إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت. اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله في من هذا الأمر: إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ".

هذه الرواية تدل بشكل واضح لا لبس فيه أنه لم تكن هناك وصية بالخلافة لسيدنا علي ﷺ ولم تنعقد له بيعة يوم الغدير أو في أي يوم غيره في حياة النبي ﷺ.

٣. نقلت في الرسالة أيضا أن مركز الأبحاث العقائدية روى أن النبي ﷺ "قام في الناس خطيبا في غدير خم. من خطبة طويلة. ثم قال: (يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه. يعني علياً. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...)".

روى المركز الحديث بهذه الصيغة وقال إن ممن أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والواقع أن هذا غير صحيح. رواية الإمام مسلم هي عن زيد بن أرقم، والنص المنسوب فيها لرسول الله ﷺ هو: ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك

فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي".

وبينت أن الفرق بين الروايتين كبير جدا، وأن أخلاق الإسلام لا تجيز نسبة رواية للإمام مسلم لم يروها في صحيحه، وأن مبادئ الأمانة العلمية تنهى عن ذلك أيضا.

وقلت إن من يصنع مثل هذا الصنيع يُسْقط حجته وعدالته ويُقَلل كثيراً من أهليته للحديث عن حقيقة الإسلام والفهم الصحيح لتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٤ـ بينت عند مناقشة احتجاج الشيعة الإمامية بحديث الغدير أن واحداً من غلاة علماء الشيعة المتأخرين، حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام ١٣٢٠ هجرية، أقر في كتابه المسمى "فصل الخطاب في مسألة تحريف كتاب رب الأرباب" بما يلي : "لم يصرح النبي لعلي بالخلافة بعده بلا فصل في يوم غدير خم وأشار إليها بكلام مجمل مشترك بين معانٍ يُحتاج إلى تعيين ما هو المقصود منها إلى قرائن".

٥ ـ بينت أيضا أن الذين رووا حديث "من كنت مولاه فعلي مولاه" من كبار علماء أهل السنة لم يفهموا منه أن النبي ﷺ عهد بالحكم والإمامة بعده إلى سيدنا علي رضي الله عنه، ولم يفهموا منه أن الله تعالى جعل الحكم والخلافة في سيدنا علي وولديه الحسن والحسين -رضي الله عنهم- ثم في تسعة من ذرية الحسين، أحدهم حي يرزق ومختف عن أنظار الناس منذ أكثر من ألف ومئتي عام. ولو أنهم فهموا منه ما فهمه

الشيعة الإمامية لكانوا على مذهبهم.

٦ ـ عرضت احتجاج الشيعة الإمامية بحديث الدار ووجدت عند البحث أن راوي هذا الحديث جعفر بن سليمان الضبعي كان مغاليا في التشيع، مما يجعل رواياته في شأن الإمامة مقدوحا فيها ومشكوكا في صدقها؛ لأنه ينتصر لرأيه ومذهبه. وقد اتهم من قبل بعض الباحثين بأنه زاد في الحديث العبارة الأخيرة "وهو ولي كل مؤمن بعدي".

٧ ـ بينت أنه إذا صح حديث " إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي" فهو يدل على المقام الرفيع لسيدنا علي رضي الله عنه في الإسلام وعلى محبة رسول الله ﷺ له، وهذا ثابت بروايات أخرى صحيحة متفق عليها، وسياق الحديث يبين أنه كان تبرئة لسيدنا علي ودفاعا عنه أمام عدد من الصحابة الذين انتقدوا بعض اجتهاداته خلال سفرهم معه إلى اليمن، وليس حديثا في شأن الإمامة والحكم ومستقبل الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ولهذه الأسباب لم يعتبر علماء السنة الذين رووا هذا الحديث وأخرجوه أنه دليل على صحة نظرية الشيعة الإمامية. ولم يذكر الحديث من قبل المهاجرين ولا الأنصار في سقيفة بني ساعدة. ولم يذكر حتى أيام الخلاف الشديد بين المسلمين في عهد خلافة سيدنا علي رضي الله عنه، وقد كان أحرى أن يستدل به سيدنا علي على السيدة عائشة وعلى طلحة والزبير رضي الله عنهم، وكان أحرى أن يحتج به سيدنا علي على الذين خالفوه من أهل الشام وعلى أنصاره الذين خرجوا عنه بعد صفين وسموا بالخوارج.

٨ ـ بخصوص الرواية التي ينقلها علماء الشيعة "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا". وجدت ابن كثير أيضا يورد الرواية التي نقلها مركز الأبحاث العقائدية، ثم يردها مخبراً أن عبد الغفار بن قاسم أبي مريم الذي تفرد بروايتها شيعي، أي أنه منحاز لوجهة نظر معينة مسبقا، ثم قال عنه إنه "رجل لا يوثق بحديثه، متروك كذاب، اتهمه علي المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله".

هذا هو رأي ابن كثير في راوي الرواية التي يحتج بها مركز الأبحاث العقائدية والسيد علي الحسيني الميلاني.

٩ ـ عرضت في ثنايا الرسالة معلومة أخرى مهمة ترد على الرواية التي يحتج بها مركز الأبحاث العقائدية والميلاني والتي تبدأ بمحمد بن إسحاق الذي سمع من عبد الغفار المطعون في صدقه. محمد بن إسحاق له رواية أخرى يناقض مضمونها مضمون الرواية التي يحتج بها علماء الشيعة ويقولون إنها صحيحة، رواية "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا".

هذا هو نص الرواية:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري أنه (أي النبي ﷺ) أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال: أريت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا هذا الأمر من بعدك؟ قال:

الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفَتُهدَف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه". (المصدر: سيرة ابن هشام. بيروت: دار الجيل. بدون تاريخ. الجزء الثاني. ص ٥١)

هذا هو ابن إسحاق ينقل عن الزهري مباشرة أن رسول الله ﷺ أوضح أن أمر الحكم من بعده لله تعالى يضعه حيث يشاء. وهو القول الموافق لبقية النصوص الصحيحة الواضحة من كتاب الله والسنة الصحيحة، وللعقل، ولمجريات التاريخ فعليا.

فهل نقبل بهذه الرواية من محمد بن إسحاق، والروايات الصحيحة المؤيدة لها، أم نقبل رواية أخرى مصدرها شخص مطعون في صدقه وأمانته العلمية؟

هذه بعض الأسباب التي تفسر لماذا لم يعتبر علماء السنة الذين اطلعوا على هذا الحديث أنه دليل على صحة نظرية الشيعة الإمامية.

١٠ ـ عرضت احتجاج الشيعة برواية "علي خير البشر فمن أبى فقد كفر" وسجلت استغرابي الشديد من احتجاجهم بحديث وصفه الذهبي وابن حجر بأنه "باطل كالشمس" ثم اعتماده سببا لتكفير الأغلبية الساحقة من المسلمين تكفيراً واضحاً "في مقام العمل وفي مقام العقيدة" كما يقولون.

١١ـ بينت أن تساهل علماء الشيعة في رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة نهج متعمد حذر منه من قبل علماء كبار، منهم ابن قيم الجوزية الذي

ذكر في كتاب نقد المنقول أن ما وضعوه في فضائل علي "أكثر من أن يعد". ونقل ابن القيم عن الحافظ أبي يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد أن الشيعة وضعوا من فضائل علي ﷺ وأهل البيت "نحو ثلاث مئة ألف حديث". وعلق ابن القيم على هذا العدد قائلا: "ولا تستبعد هذا فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال".

١٢ - علقت بعد عرض كثير من روايات الشيعة في سيدنا علي ﷺ ومناقشتها، أن الباحث يخيل إليه عندما يقرأ كتب أكثر علماء الشيعة، ويسمع خطبهم، أن الإسلام كله نزل في سيدنا علي ﷺ، وأن الكون لم يخلق إلا من أجله، وأن خاتم النبيين ﷺ ما بعث إلا لبيان مناقب ابن عمه ودعوة الناس لطاعته ومحبته وولايته.

وهذا ضلال ما بعده ضلال. فإن الإسلام نزل رحمة للعالمين، يعلم الناس كافة أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويدعوهم لعبادته سبحانه وتعالى وحده فإنه إنما خلقهم لذلك، وكل الإسلام مبني على هذا الأصل العظيم، وتشريعاته جاءت لإقامة العدل وحفظ مصالح الناس ونشر مكارم الأخلاق.